الهجرة الى يثرب

اشتد إيذاء قريش للمسلمين في مكة بعد إسلام جماعة من أهل يثرب، فطلب بعضُهم النجاة بنفسه والهجرة إلى أيّ مكان، فاستمهلهم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وقال: «لقد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها».

وبدأ المسلمون بترك مكّة والهجرة إلى المدينة تدريجياً، حتّى لا تعلم بهم قريش، إلاّ أنّ زعماءها فطنوا لسرهم، فمنعوا السفر والتنقل لأي مسلم، وإعادة كلّ من وجدوه أثناء الطريق، وحبس زوجة كلّ مسلم أراد الهجرة، ولكن لم يثمر كلّ ذلك، فإنّ معظم المسلمين تمكّنوا من الفرار والهجرة إلى يثرب، ما عدا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام علي وابو بكر، وعدد قليل من المسجونين والمرضى من المسلمين، حتى حان الوقت الذي أقرّ فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الهجرة من مكة في شهر ربيع الاَوّل من السنة الثالثة عشر من البعثة النبوية المباركة.

ولما وصل نبأ تحالف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع اهل يثرب تأمروا على اغتياله، واجتمعوا في دار الندوة للتشاور في هذا الامر الخطير فاتّخذوا قراراً حاسماً بالقضاء على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتخلص منه بقتله، و اشتراك جميع القبائل في هذا العمل بان يختاروا من كلّ قبيلة رجلاً قوياً، فيضربوه ضربة رجل واحد، وبذلك يتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلّها في صاحبهم، فاستحسن الجميع هذا الرأي واتّفقوا عليه، ثمّ اختاروا القَتَلَة، على أن يؤدّوا مهمتهم بالليل أثناء الظلام.

فنزل جبرائيل على الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأبلغه بمؤامرة المشركين فقرأ عليه قول اللّه تعالى : {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيثبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يخرجُوكَ وَيمكرونَ وَيَمْكرُ الله واللهُ خيْر الماكِرين}، "سورة الانفال: ٣٠".

قرر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخروج من مكة والهجرة الى يثرب على أن ينام شخص في فراشه ليتصوّر المشركون أنّه موجود في منزله، فيرتكز عملهم على محاصرة البيت دون الاهتمام بمراقبة الطرقات في نواحي مكة، فنام الإمام علي (عليه السلام) في فراش النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وحاصر المنزل أربعون فرداً من قريش.

خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الباب دون أن يشعر به أفراد قريش المكلّفون بقتله، وقبيل طلوع الفجر عند ساعة الصفر، هجم المتآمرون على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففوجئوا بوجود الإمام علي (عليه السلام)، فغضبوا وندموا على انتظارهم الطويل حتّى الفجر، ولاموا أبا جهل الذي منعهم من دخول البيت فحمّلوه مسؤولية فشل الخطة، ولكنّهم أسرعوا في وضع خطه جديدة لترتيب أمر ملاحقته والقبض عليه.

وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر قد أمضيا ليلة الهجرة وليلتين أُخريين في غار بجبل ثور الواقع في جنوب مكة، وذلك ليعمّي على قريش فلا يتبعوا أثره، إذ أنّ الطريق إلى المدينة يقع في شمال مكّة.

ولما خرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة مهاجرا الى يثرب جعلت قريش مائة ناقة مكافأة لمن يدلهم عليه او يأتي عنه بخبر صحيح.

وقد تمكّن المتتبعون لأثر قدم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) من الوصول الى باب الغار، إلاّ أنّهم استبعدوا وجودهما فيه، نظراً لنسج العنكبوت وبيض الحمام. فاستمرّت محاولات البحث ثلاثة أيّام بلياليها دون جدوى.

وقد طلب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من الإمام علي أن يبتاع (يشتري) بعيرين له ولصاحبه، فقال أبو بكر: قد كنت أعددتُ لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتحل بهما إلى يثرب، فدفع إليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمنهما.

كما أوصى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) بأن يؤدّي أمانته التي بذمته الى الناس، وأمره بترتيب رحلة الفواطم: فاطمة الزهراء(عليها السلام)، وفاطمة بنت أسد أُمّ الإمام علي (عليه السلام) وفاطمة بنت الزبير، ومن يريد الهجرة معه من بني هاشم إلى يثرب، وما يحتاجون له من زاد وراحلة.

وقد اتخذ المسلمون السنة التي هاجر فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكة الى المدينة مبدأ للتاريخ عندهم، نسبة الى هذا الحادث العظيم، وكانوا يؤرخون قبل ذلك بعام الفيل.

نشأة حكومة نظامية في المدينة وبناء المجتمع الاسلامي

اتّفق كُتّاب السيرة على أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل المدينة يوم الجمعة، حيث صلّى الجمعة في بني سالم بن عوف، وهي أوّل جمعة جمعها (صلى الله عليه وآله وسلم) في الإِسلام، وخطب أوّل خطبة في المدينة كان لها الأَثر العميق في قلوب أهلها ونفوسهم.

اصبحت يثرب بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اليها معقل الاسلام وملجا جماعة المسلمين وغدت تعرف باسم مدينة النبي، وتسمى اليوم المدينة والمدينة المنورة لوجود قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها.

واصبح بالمدينة في ذلك الوقت ثلاثة اصناف من السكان

الاول: المهاجرون وهم الذين هاجروا وفروا بدينهم من مكة الى المدينة.

الثاني: الانصار وهم الذين دخلوا الاسلام من سكان المدينة الاصليين وهم الاوس والخزرج، وسموا بذلك لانهم نصروا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش.

الثالث: اليهود، وقد انتهى بهم الامر الى الخروج تدريجيا من جزيرة العرب.

بناء المسجد

كان أوّل عمل قام به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو بناء مسجد للمسلمين للعبادة واقامة الصلوات، ومركز يجتمع فيه المسلمون كلّ أُسبوع في يوم معيّن، ويتشاوروا في مصالحهم وشؤونهم، ولم يكن المسجد في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للعبادة فحسب، بل لتُلقى فيه العلوم والمعارف الإسلامية والتربوية، إضافة إلى الاَمور القضائية والفصل بين الخصومات وإصدار الحكم على المجرمين، واتخذه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) محلاً لإلقاء خطبه الحماسية والجهادية في تعبئة المسلمين ضدّ الكفّار والمشركين.

وبنى كذلك بجانب المسجد صُفَّة يسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون، وكلف «عبادة بن الصامت» بأن يعلّمهم الكتابة وقراءة القرآن، ثمّ بعد ذلك بنيت منازله ومنازل أصحابه حول المسجد.

المؤاخاة

وفي هذه البيئة الجديدة، واجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مشكلات أو قضايا أساسية:

١. قريش و الوثنيين في شبه الجزيرة العربية.

٢. اليهود في المدينة أو خارجها، مع توافر الاَموال لديهم.

٣. الاختلاف بين المهاجرين والاَنصار، و بين الاَنصار أنفسهم . الاَوس والخزرج، أي الجبهة الداخلية.

وقد تمكّن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التغلّب على تلك المشكلات والقضايا بأساليب حكيمة وسياسية، فبالنسبة إلى التناقضات بين فئات المجتمع، فقد عالجها بالموَاخاة بين المهاجرين والاَنصار، حينما جمعهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لهم: «تآخوا في اللّه أخوين أخوين». فأصبح هذا التآخي والوحدة بين الاَطراف المتنازعة، طريقاً لحلّ المشكلات الاَخرى.

صحيفة المدينة (دستور المدينة)

لما وصل الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة بدأ في اتخاذ بعض الإجراءات لترسيخ قيم التعايش المدني بين ابناء المدينة، كان من بينها إبرام معاهدة او ما يسمى بصحيفة المدينة لتنظيم احوالهم وعلاقتهم مع الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ومع بعضهم، بين الأَنصار والمهاجرين، والفصائل اليهودية وغيرهم، يتصدى بمقتضاه المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة.

ويعتبر المسلمون هذه الوثيقة من أكثر الأدلة وضوحا على سماحة الإسلام في التعامل مع المخالفين له في الاعتقاد، وتكشف عن مدى التزام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمبادئ الحرية و العدالة، كما تكشف عن حنكته السياسية حيث استفاد من هذه الوسيلة من أجل إيجاد جبهة متحدة قوية في وجه الحملات الخارجية، فهي في الواقع واحدة من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الإسلامية الناشئة في ذلك الوقت، بل هي أعظم معاهدة تاريخية على الإطلاق، وهي نموذج كامل لرعاية الإسلام وحرصه على مبدأ حرية الفكر والاعتقاد، وضرورة التعاون، وتوضيح حدود صلاحيات واختيارات القائد ومسؤولية الموقعين عليها، وقد احترم فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دين اليهود وثرواتهم في إطار شرائط معينة.

ان الناظر لهذه الوثيقة التي تتكون من (٥٢) فقرة، يرى ما يأتي:

١- استطاع ان يوحد بين جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم.

٢- اوجد التعاون والتضامن بين افراد تلك الجماعة على اساس الدين وليس صلة القرابة.

٣- ان للجماعة حقوقا على الافراد اساسها فرض الامن وضرب المفسدين.

٤- شرط لجماعة اليهود المساواة مع المسلمين في المصلحة العامة، وفتح لهم الطريق للراغبين في الاسلام.